من أعلام الشعر اليمني في عصر الدولة الطاهرية
الشيـــخ عبد الهـــادي السودي

د. يحيى محمد محمد حسان
قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة تعز

كان مولده في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري وعاش حتى ٩٣٢هـ [١]، في فترة زمنية شهدت نهاية قرن ومولد قرن آخر ، وهي فترة زمنية خطيرة شهدت اليمن فـيها أحداثـا هامـة وليس اليمن بل العالم العربي والإسلامي ، (حيث شهد القرن التاسع الهجري اشتداد روح التعصب الصليبي ضد المسلمين ، وبلغ التعصب ذروته في الأندلس بقـيام الممالك المسيحية بأسبانيا بتصفية الوجود الإسلامي نهائيا في آخر معاقلة غر ناطة التـي سـقطت سـنة ٨٩٧هـ ، ١٤٩٢م واجبر المسلمون فيها على التخلص من دينهم واعتناق المسيحية تجنبا للتعذيب والقتل [٢] وعلى الجانب الأخر برزت الدولة العثمانية كقوة إسلامية تؤرق الأوربيين وتقلقهم بقوه بأسها وسرعة توسعها إلى القسطنطينية ٨٥٧هـ-١٤٥٣م ، وأثينا ٨٦٠-١٤٥٥م ، والقرم ٨٧٩هـ حتى إيطاليا ٨٨٢هـ-١٤٧٧م . وفي هـذه الفترة من الزمن برزت أوربا كقوة جديدة تتزعمها البرتغال التي سقطت في مجال الاكتشـافات الجغرافـية (وتجسـدت فيها الروح الصليبية ، وعملت على تطويق العالم الإسلامي) [٣] وكانت معاناة اليمن كبيرة من جراء تلك القرصنة الغربية ، فإذا كانت اليمن قد شـهدت فـي هـذا القرن غروب شمس الدولة الرسولية [٤] ومولد دولة أخرى هي الدولة

---

١ انظر محي الدين عبد القادر العيدورس : النور السافر ص ١٤٣، محمد بن علي الشوكاني : البدر الطالع جـ١ ص ٤٠٨ ،عبد الحي بن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ٨ ص ١٨٨ .

٢ د. عبد العال بنو رسول وبنو طاهر ص٤٧٥.

٣ نفس المصدر ص ٤٧٥.

٤ انظر عن الدولة الرسولية على بن الحسن الخزرجي:العقود اللؤلؤية جـ١ ص٤٤ ، ابن كثير :البداية والنهاية ابن اياس: جـ٣ صـ٣٤١ بدايع الزهور جـ١ صـ٣١٨/ابن تغري بردي / النجوم الزاهرة جـ١١ صـ٢٩٤ ،ابن تغري بردي / المنهل الصافي جـ٣ صـ٢٨٧ .

الطاهـرية [٥] علـى يد السلطان المجاهد علي بن طاهر وأخيه عامر بن طاهر ، وعانت الكثير من الفتن والاضطرابات فان السلطان عامر بن عبد الوهاب (٨٩٤ -٩٢٣ هـ) قد استطاع القضاء عليها وتثبيت دعائم الاستقرار تحت حكمة وهو الذي يعتبر أبرز سلاطين الدولـة الطاهرية والذي استطاع أن يخضع المناوئين له ، ويوحد اليمن تحت حكمه حتى بـدت فتـنة الأطمـاع الغربيه تطل برأسها من خلال البحار ، حين تمكن البرتغال [٦] من اكتشـاف رأس الرجاء الصالح ، ومهاجمة الهند وسواحل الجزيرة العربية بما فيها اليمن (وأدرك اليمنـيون أن حـياة بلادهـم الاقتصادية مهددة ، وأن ما عجز عنه الإغريق والرومان والبطالمة والأحباش وبقية الغزاة قديما يوشك أن يتحقق بأيدي هؤلاء المغامرين الجـدد ، وكـان لخـوف اليمنيين ما يبرره فقد استطاع الأسطول البرتغالي أن يحاصر الموانئ اليمنية ، وان يغلق البحر في وجوه القوافل المسافرة نحو الشرق ، ليس في وجوه السفن اليمنية وحدها بل في وجه السفن المصرية)[٧] الأمر الذي آثار حفيظة المماليك في مصر ودفع السلطان قانصوه الغوري إلي إرسال أسطوله البحري لصدهم ومطاردتهم في عـرض البحر ، غير أن الأوضاع الاقتصادية الداخلية أدت إلى تقاعس الدولة الطاهرية عـن تقديـم الدعم الكافي لهذه الأساطيل التي تمر عبر البحر على السواحل اليمنية ذهابا وإيابـا ، وقد أزعج هذا التقاعس قائد الحملة المملوكية ودفعه إلى الاستجابة لرسالة الإمام شـرف الديـن التي يدعوه فيها إلى نصرته وإمداده بالمال والعتاد لقتال الدولة الطاهريه حلـيفة المماليك السابقة وهكذا غيرت تلك الأساطيل وجهتها وتحولت إلى مهاجمة الدولة الطاهـرية والاشـتباك معها في معارك فاصله أدت في النهاية إلي القضاء عليها ، وقتل آخـر سلاطينها السلطان عامر بن عبد الوهاب ٩٢٣هـ [٨] وبمقتل عامر بن عبد الوهاب

---

٥ أنظر عن الدولة الطاهرية :/يحي بن الحسين / غاية الأماني صـ٥٨٦ ، بنو رسول وبنو طاهر صـ٢٤٥.

٦ انظر محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ص١٩٩.

٧ عبد العزيز المقالح : شعر العامية في اليمن ص ١٣٥.

٨ انظر عبد الرحمن بن علي بن الربيع الشيباني :قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ٤٦٣،القاضي حسين بن احمد العرشي : بلوغ المرام في شرح مسك الختام ٥٤ ، عبد الله بن عبد الوهاب الشماحى : اليمن الإنسان والحضارة ص ١٤٩ ، اليمن شماله وجنوبه صـ ٢٠١ .

دخلت اليمن في مرحلة جديدة من الانقسام والفوضى وعدم الاستقرار ، حيث كانت صعدة وصنعاء تحت حكم الائمة [9] أوبقيت عدن تحت حكم آل طاهر الذين لم تثنهم الأخطار المحيطة بهم عن الاختلاف والتناحر فيما بينهم طمعا في الحكم ، وإذا كان القائد فرحان بن عبد الله الطاهري الذي يحكم عدن من قبل الطاهريين قد اثبت صدق ولائه لهم ، ولم يستقتل بالمدينة بل أعلن طاعته للسلطان أحمد بن عامر بن عبد الوهاب ، فإن هذا السلطان لم يلبث غير عام ثم توفي لتعلن عدن ولاءها للسلطان عامر بن عبد الملك بن داود الطاهري ٩٢٤هـ ، (وخطبت له في عدن بأمر واليها فرحان الطاهرى وفي البلاد التي تحت حكم آل طاهر كالمقرانه ورداع وإب وذي جبله) [10] وتغلب على خصمه احمد بن محمد بن عامر واستمر في الحكم إلى أن توفي مسموما ٩٢٥هـ . وإذا كان أهل المقرانة قد بايعوا احمد بن محمد بن عامر سلطاناً ٩٢٥-٩٢٦هـ إلا أن القائد مرجان الطاهري اظهر ولاءه له مع إخفائه الغدر حتى تمكن من مبايعة عبد الملك بن محمد بن عبد الملك وتنصبة سلطانا ٩٢٦هـ واستمر في الحكم سبع سنوات وكان يمتد نفوذه أحيانا إلى تعز ثم تقلص إلى عدن حتى قتله القائد العثماني حسين الرومي ٩٣٣هـ ويبدو أن هذا السلطان كان قد أعلن ولاءه للدولة العثمانية ودخل في طاعته القائد العثماني على اليمن حسين الرومي حيث أرسل يطلب منه بعض الخزينة للصرف على الجند ، كما يشير إلى ذلك صاحب البرق اليماني بقولة : وكان صاحب تعز الأمير الأشرفي فأرسل إلى الأمير حسين يطلب منه بعض الخزينة للصرف على من عنده من العسكر ، فأبى عنه ، فأحدث مكوساً زائدة على الرعايا ، ومد يدة إلى المصادرة على الناس ، فلما بلغ الأمير حسين ذلك لم يرض بفعلة ، فتوجه إلية ، وقاتله فقتلة ، وقتل أعوانه من أهل الفساد واستقل بالبلاد [11] أما حكم عدن فقد آل بعد عبد الملك إلى السلطان عامر بن داود

---

[9] انظر د/ احمد فخري : اليمن ماضيها وحاضرها صـ ٢٠١ .

[10] بنو رسول وبنو طاهر صـ٢٨٣ .

[11] البرق اليماني صـ ٤٠ .

الطاهـــري[١٢] أخـــر سلاطين بني طاهر الذي استمر في حكم عدن حتى شنقه غدراً قائد الحملة والبحرية العثمانية سليمان باشا ٩٤٥هـــ لتدخل عدن تحت حكم العثمانيين .

أمـــا زبيد وبقية المناطق الساحلية فكان يحكمها مزيج من الجر اكسه والأتراك الذيـــن تعاقبوا على حكم تعز أيضاً ، يتآمر بعضهم على بعض وينقض اللاحق منهم على الســـابق كلما أحسّ من نفسه قوة ومن أميره ضعفاً طمعاً في الحكم ورغبة في السلطان ، يـــتخلل هـــذه المؤامرات والمماحكات هجوماً من آل طاهر المتمركزين في عدن ، فتبقى المدينة تحت نفوذهم حيناً من الزمن ليخرجهم منها أعداؤهم التقليديين من الأئمة ، ثم يأتي المماليك فيطردونهم منها ، وهكذا ١٣حتى سنة ٩٤٥ هـــ حيث انتهت الدولة الطاهرية في عدن كما سلف الحديث عنها ، وانتهى الوجود المملوكي في زبيد وتعز بقتل الناخوذه أحمد الجر كسي في نفس العام ، غدراً في ميناء المخاء علي يد سليمان باشا الخادم نفسه ، ولم يبق على الساحة سوى قوتين تتنافسان الحكم وتتصارعان في الميدان السياسي والعسكري الأولى الأئمة في الشمال والثانية العثمانيون في زبيد وبقية المناطق الوسطى والجنوبية ، واســـتمرت القوتـــان في كر وفر إلى عام ١٠٤٥هـــ حيث انتصرت الإرادة الوطنية وتم الجـــلاء العثماني الأول عن كل البلاد اليمنية . في هذه الأجواء نشأ وعاش علم من أعلام الشعر الصوفي في اليمن .

اسمه :

أمـــا اسمه فهو محمد بن علي دون خلاف غير أن هناك اختلافاً في اسم جده ، حيـــث ورد فـــي جلّ المصادر التاريخية باسم محمد[١٤] ، وورد باسم أحمد في ديوانيه بليل

---

١٢ انظر حسن صالح شهاب عدن فرضة اليمن صـ٢٢٣.احمد فضل العبد لي هدية الزمن من خيار ملوك لحج وعدن صـ٩٦ ـ٩٧ .

١٣ انظر اليمن ماضيها و حاضرها صـ٢٠١ . عبد الله احمد الثور : لمحاتمن التاريخ والأدب اليمني صـ١٩ . عبد الله الحبشي : الأدب اليمني عصر خروج الأتراك الأول صـ٩ .اليمن عصر خروج الأتراك الأول صـ ٩.

١٤ انظر على سبيل المثال : النور السافر ١٤٣ ، البدر الطالع جـ١ صـ٤٠٨ ، شذرات الذهب جـ ٨ ص ١٨٨ ، تاريخ الأدب العربي جـ٣ صـ٩٣٨ .

الأفـراح ونسـيمات السـحر [١٥]، وكذلك ورد في الإعلام [١٦] حيث اعتمد على نسخه من الديـوان فـي خزينة الفاتيكان رقم (٢٩٢) ولعل الأرجح هو ، ما ورد في الديوان حيث أورده كذلـك حفيده عبد الرحمن بن عبد القادر الذي الف في مناقبه ، وأتى في مقدمتها بنسبه كاملاً [١٧].

كنيته :ـ

فـأبو عبد الله ويلقب بجمال الدين وسُمِّي بعبد الهادي في عصره ، وغلبت عليه هذه التسمية ، حتى نسي اسمه ، وكان لا يدعى ولا يذكر إلا بعبد الهادي .

مولده :ـ

كـان مولـده فـي النصـف الأول من النصف الثاني من القرن التاسع للهجري ، رغم الاخـتلاف بيـن الشوكاني الذي ذكر أن مولده كان في نيف وسبعين وثمان مائة [١٨] وبين محقق ديوانه الذي رجح أنها في ٨٦٠هـ [١٩].

نسبه وأسرته :

كـان مولـده فـي أسرة علمية ، فأبوه عالم وأعمامه علماء ، وأجداده [٢٠] علماء ، وهذه الأسـرة، وان كانت قد نسبت إلى السودي [٢١]، وهوالجد الثالث عشر لشاعرنا ، فإنها تعود فـي أصلة إلى [٢٢] علي بن عدنان (وهي نسبة زكيه لكونها من صميم العرب العرباء من

---

١٥ انظر عبد العزيز سلطان : العارف بالله عبد الهادي السودي صـ٨٥ ، ٨٦، ٨٧ .
١٦ الأعلام جـ٦ صـ ٢٩٠ .
١٧ انظر عبد العزيز سلطان: العارف بالله عبد الهادي السودي صـ ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ،
١٨ البدر الطالع جـ ١صـ ٤٠٨ .
١٩ انظر عبد العزيز سلطان مقدمة الديوان المحقق صـ٤٦ .
٢٠ انظر عبد الرحمن الرفيدي : مناقب الشيخ عبد الهادي صـ٣٥٨ ، ٣٥٩ .
٢١ هو الشيخ/سود بن الكميت توفى ٣٤٦هـ وكان من كبار العلماء والأولياء في عصره انظر طبقات الخواص صـ ١٥٠
٢٢ المناقب صـ ٣٥٩ .

عدنان [٢٣] وقد لمع في هذه الأسرة وعلى مر الزمان كثير من العلماء المبرزين ، والأدباء المبدعيـــن ، ذكر السودي في بعض [٢٤] مؤلفاته عدداً منهم ، مثل الأديب ، الفقيه ، عفيف الدين عبد الله بن حسن السودي [٢٥] القائل من قصيده طويلة .

الأ هل لما حل بي من أسى حدَّ وهل في ضبا عزمي إذا احتجتها جد [٢٦]

والفقيه جمال الدين محمد حسن السودي [٢٧] ، والفقيه حسن بن حسين السودي [٢٨] ، والعلامة شهاب الدين أحمد بن موسى السودي [٢٩] ، الذي يقول فيه الرداد ، من قصيدة طويلة :

لازال في نظـــر الإلـــه وقـــربه بين الأحبة في المقام ألا حمدي

يغـــدو بداعية الوصال مكرماً ويروح مجبوراً بوصـــل منجـــد [٣٠]

ومـــنهم العلامة يعقوب بن محمد بن كميت ، وابنه العلامة جمال الدين محمد بن يعقـــوب ، المعروف بأبي حربة ، وقد ألف العلماء عنهم المؤلفات ، جمعوا فيها مناقبهم ، وتحدثوا عن علومهم وأخبارهم ، مثل كتاب نزهة الأحباب وطرفة ذوي الألباب في مناقب بني سود الأقطاب للإمام ابن عمير الميفعي

وأنشـــد العلامة المؤرخ عبد الله بن أسعد اليافعي قصيدة في مدح شيوخ اليمن ، مدح فيها آل سود ، منها قوله مشيراً إلى أبي حربة سالف الذكر :

وسودية حسن الحلا ذات سؤدد لهاحرية ترمى بها في المقاتل [٣١]

ويقول المؤرخ الجندي :(إن بني سؤد جماعة يذكرون بالعلم والورع) [٣٢].

---

٢٣ نفس المصدر ٣٥٩ .

٢٤ منها الرسالة في محبة أهل البيت الرسالة انظر صـ٢٨٣.

٢٥ نفس المصدر صـ ٢٨٣ ، وانظر محمد بن يعقوب الجندي : السلوك جـ٢ صـ ٣٠٧، ٣١٦ .

٢٦ الرسالة صـ٢٨٣ .

٢٧ نفس المصدر صـ ٢٨٤ .

٢٨ نفس المصدر صـ ٢٨٤ .

٢٩ نفس المصدر صـ ٢٨٤ .

٣٠ نفس المصدر صـ ٢٨٦ .

٣١ المناقب صـ٣٦٦ .

٣٢ السلوك صـ٣١٥ جـ٢ .

نشأته ورحلاته في طلب العلم :

نشأ في وسط ثقافي ، وفي أسرة عريقة ، معروفة بالعلم ، وعندما بلغ سن التمييز بدأ دراسة القرآن الكريم ، حيث أتمه على يد والده ، واستمر في حجر والده يتلقى علومه ومعارفه الأولى ، ويحيا حياة الترف والنعيم في ظل والده الذي كان على جانب كبير من الغنى وما أن توفى والده حتى بدت تظهر علية النزعة الصوفية التي تمثلت في رغبته عن حياة الثراء والترف ، وزهده في كل مظاهر العز والجاه وإخباته إلى الله تعالى، وإقباله على طلب العلم بشغف بالغ ، ولم يلتفت إلى شيء مما خلف والده من العقار والضياع والعبيد والإماء ، وكان له خمسون عبداً وجارية ، فأعتق الجميع ، وتوجه إلى الله سبحانه وتعالى متجرداً عما سواه .. وترك الأهل والأموال .....) [٣٣] وارتحل إلى الشيخ يحيى العامري [٣٤] في حرض وتلقى عنه الكثير من العلوم وأخذ عنه علم الحديث ، ثم طمحت نفسه إلى المزيد ، فارتحل الى مكة المكرمة ، وأخذ عن مشائخ الحرم المكي الشريف ومن أبرز مشائخه في مكة المكرمة ابن أبي كثير [٣٥].

(وبعد أن حصل على الإجازة من علماء مكة المكرمة بالإقراء والتدريس في كل علم نفيس ، وغلب عليه علم الحديث) لم تكتف همته العالية بكل ما تحصل عليه من المعارف في مختلف العلوم والفنون ، بل واصل رحلته إلى المدينة المنورة ، حيث التقى بالكثير من المشائخ والعلماء وأخذ عنهم ، وأفاد منهم ، وفيها قرا على العلامة السيد على بن محمد السمهودي ، وصحب الشيخ أبا عبد الله النيسا بوري [٣٦] (وعنه أخذ شيئاً من علوم القوم [٣٧] وبعد أن استوفى غرضه في المدينة المنورة دعاه داعي الأوطان والشوق إلى الأهل والخلان فأرتحل قافلاً إلى مكة المكرمة في الثالث عشر من شهر رمضان

---

٣٣ المناقب ٣٨٨ .

٣٤ المناقب ٣٩٢ .

٣٥ هو : يحي أبي بكر بن محمد العامري الحرضى ٨١٦ ـ ٨٩٣ محدث اليمن وشيخها من أبي الفتح المرعي وغيره. له عدة مؤلفات :- منها غربال الزمان في التاريخ . انظر البدر الطالع جـ٢ صـ٣٢٧.

٣٦ المناقب ٣٩٢.

٣٧ المناقب ٣٩٢.

ســتة ست وثمانين وثمانمائة ، ثم إلى صعده التي كانت محطته الأولى في اليمن ، وفيها نلاحــظ انه انتقل من مرحلة التلقي إلى مرحلة البذل والإفادة للعلم وبالأخص علم الحديث والتصــوف ، ومنها انتقل إلى صنعاء حيث استقبله (الإمام السيد قاسم واستفاد كل منهما من الأخر حيث درس السيد قاسم عليه في علم الحديث ودرس الشيخ على السيد قاسم في علم البديع والبيان والمعاني) [٣٨] وتوسع في تدريس علم الحديث ، واستفاد منه خلق كثير، وأخذ واعنه منهم : (حسن بن غانم المنعم وكان من أكابر العلماء ، والإمام محمد بن على الســراجي ثــم آن له الانــتقال إلى المناطق الوسطى حيث رباط السادة بني الفراوي في الذهــوب ، ورباط السادة بني الغيثي في المعاين ، وهناك أخذ عن الشيخ عمر بن داود البشري الغيثي ، وهاهو يخاطبة من قصيدة طويلة :ـــ

يا نسل بشر بشروا المعنى وبلغوه أقصى الذي تمنــى

قولوا له بالله أنت منـــــا يامن مشـــــار به لنا هنيه [٣٩]

وبعــد أن مكــث فــتره لم تحددها المصادر المتاحة انتقل إلى تعز ، التي تعتبر المحطــة الأخيرة في رحلته الطويلة ، وهناك أقبل عليه الناس ، والتف حوله الكثير من طلــبة العلــم ، وأقام في مسجد الجبرتية ، شرق مدينة تعز . آنذاك وكان ذلك إبان حكم الســلطان الظافــر عامــر بــن عبد الوهاب في مطلع القرن العاشر الهجري ولعله قرر الاســتقرار فــي هذه المدينة ورأى التأهل فيها فأتاحت له الأقدار التزوج من امرأة ذات فضل ودين ، هي أخت الفقيه محمد العزاف ، أحد الفقهاء المعروفين بالعلم والصلاح في تعز وانجبت له عبد القادر الذي اصطحبه مع والدته عند تمام ثمانية أشهر من ولادته في زيارة ربما كانت الأخيرة إلى صنعاء ليعود بعدها إلى تعز ، ثم لا يفارق هذه المدينة حتى يلقى ربه .

---

[٣٨] المناقب صـ٣٩٥

[٣٩] ديوان بلبل الأفراح صـ١٩٥.

ومـــن خـــلال الاستقراء يجد الباحث أن الشيخ عبد الهادي كان يتمتع بالفصاحة وحســـن البـــيان وسعة العلم بل كان على رأس علماء عصره إلى جانب مواهبه الخلقية والخلقية ، حيث كان على جانب كبير من حسن الخلق والخلق وحري بمن يتمتع بمثل هذه الصـــفات أن تألفه النفوس وتهواه القلوب ، وأن يكون موضع تقدير وإجلال من الخاص والعام . ويلاحظ من خلال المصادر أن السودي تمتع بالمحبة والقبول ، وقصده الزائرون من جميع الجهات ، وأقبلت عليه الخاصة ، والتفت حوله العامة ، وزاد عدد طلابه على ثلاثمائة [٤٠] طالب في هذه الفترة ، وذلك عند استقراره في تعز ، وتفرغه في هذه المرحلة للبذل والعطاء في مختلف العلوم الشرعية والأدبية ، ملتزماً جانب الزهد والورع ، مبتعداً عـــن مدح الحكام والتقرب إليهم ، منصرفاً عن الأطماع والمناصب . ذكر تلميذه الرفيدي في مناقبه أن السلطان عامر بن عبد الوهاب ، احتاج إلى قاض لمدينة تعز يكون في غاية العـــدل والورع والحلم ، وسأل من لديه من الوزراء والأعيان ، فأجمعوا على الشيخ عبد الهـــادي ، ولمـــا كان السلطان يعلم أن السودي ليس من المترددين على بابه ، ذهب هو بنفســـه إلـــيه ليعرض عليه هذا المنصب ويطلب منه قبوله ، غير أن السودي رفض هذا العرض وبإصرار ، رغم محاولة السلطان إقناعه وإلحاحه عليه [٤١] وهكذا رفض الشيخ كل وظـــيفة أو عمـــل ســـوى الاشتغال بالعلم والتعليم ، و قد تغلب الجانب الصوفي عليه في الفـــترة الأخيرة من حياته ، وبالتحديد بعد عرض السلطان عليه القضاء حيث غلب عليه الاشتغال بالذكر وتربية المريدين فتخرج على يده الكثير ممن عرف بالعلم والفضل ، ومن أبرز من أخذ عنه : الشريف العلامة الحسين بن عبد الله العيدروس ، الفقيه المقري عمر الشـــوافي نزيل مكة المكرمة ، والفقيه حسن بن غانم بن علي ، وعبد الرحمن الرفيدي ، وإبراهيم بن أفلح ، وغيرهم [٤٢] واستمر السودي في مسجده المسمى مسجد المشنة في تعز إشعاع نور وهداية ، ومنارة علم ، ومهوى أفئدة ، يحيط به مريدوه ، ويلتف حوله محبوه،

---

٤٠ أنظر المناقب ص.٤٤٩ مقدمة الديوان المحقق ص٦١ .

٤١ المناقب ص٤٠٧.

٤٢ أنظر المناقب ص ٦١ ، ٨٩ ، ٤٠٩ ، ٤١٦ ، ٤١٨ .

إلـــى أن اشـــتاقت روحه لقاء ربه في صباح الأربعاء السادس من شهر صفر ٩٣٢هـــ . فارتجـــت المديـــنة لوفاته وحزنت القلوب ودمعت الأعين ، وخرجت مدينة تعز عن بكرة أبيها ، مع المدن والقرى المجاورة ، في مشهد مهيب حضره السلطان عبد الملك بن محمد بن عبد الملك الطاهري ٩٢٦-٩٣٣هـــ والشريف هزاع ابن أخت الشريف بركات شريف مكـــة المكـــرمة ، وغيرهم من كبار العلماء والوجهاء وإذا كان قد رحل بجسده فإنه باق بعلمه وأدبه ، وما ترك من تراث أدبي يتداوله الخاصة والعامة ، ومن أثر روحي بالغ في نفـــوس محبـــيه على تعاقب الأجيال ، ووقفة على ترجمة مؤلف النور السافر له وهو من المتأخرين عنه ، تؤكد ذلك .

وإذا نظر الباحث الى علاقة السودي بعلماء وأدباء عصره يجد أنه كانت تربطه بهم علاقة مودة وتقدير متبادل فهذا مفتى زبيد آنذاك العلامة أبو العباس الطنبداوي يرحل مـــن زبـــيد إلى تعز ليس له غاية سوى زيارة السودي ، فيستقبله الشيخ عبد الهادي بكل حفـــاوة وتقديـــر [٤٣] وقال العلامة وجيه الدين عبد الرحمن بن حسين الاهدل انه كان بين والـــده الشريف حسين الأهدل وبين شيخنا جمال الدين عبد الهادي صحبة ومحبة أكيدة [٤٤] كمـــا تـــتجلى علاقته بالعلماء والأدباء في عصره من خلال صلته بالإمام محمد بن على سراجي في صنعاء على سبيل المثال حيث ربطتهما صداقة ومودة قوية ، وكان التواصل والتراسل بينهما لا يتقطع [٤٥] وها هو السودي يخاطبة في إحدى مكاتباته له ، قائلاً : (إن صدور هذا الكتاب لتجديد العهود القديمة ، ولما في القلب لكم من المودة المستديمة ، وقد جرحتنا يد البين والفراق ، ولا يندمل الجرح إلا بالتلاق [٤٦]

وبقول فيه من قصيده طويلة :

---

[٤٣] انظر المناقب صـ٤١٢.
[٤٤] انظر نفس المصدر صـ٤٦٢.
[٤٥] انظر الشيخ عبد الهادي السودي : رسائل ومكاتبات تحقيق عبد العزيز سلطان صـ٣٠٥ .
[٤٦] رسائل ومكاتبات الشيخ عبد الهادي السودي صـ٣١٩.

سلام الله ما لمعت بـــــــروق ... على من خلقة خلق بـــــــروق
على من شاد أركان المعالـــــي ... فتى هذا الزمان به يفـــــــوق
تسربل بالمكارم وارتداهـــــا ... فما شيء له عنها يعـــــــوق
بديع في محاسنه غريـــــــب ... زكي النفس قوال صـــــــدوق
سليم صدره طلق المحيـــــــا ... لناظره الى العليا يســـــــوق
يعلم جوده الجواد انسكابـــــاً ... فلا زالت محاسنه تشـــــوق
أعز الدين صبري قل عنكـــم ... وحملني الهوى مالا أطيـــــق
وصيرني أهيم ولا أبالـــــــي ... ويرحمني إذا همت الصديـــــق [٤٧]
الخ .....

فأجاب السراجي بقصيدة مطالعها :

كتاب لفظه روض يـــــــروق ... ويزهو كلما ابتسمت بـــــروق

ويقول فيها :

وذلك من أجل الناس قـــــدراً ... لأصل فضائل وبها يفـــــوق
جليل ما جد بر وصـــــــول ... حبيب في محبته صـــــدوق
خليل ما جد بدرّ كـــــريـــــم ... سليم قلبه حب صـــــــدوق
وقلبي شاهد في ذاك أو هـــــو ... يحن إليه وهو به شفيـــــق
هو الهادي عنيت اسما ووصفـــاً ... فيهدي الخلق إن عمى الطريـــق [٤٨].

ويقول في رسالته نثراً :

من المشتاق الى لقائه الداعى بطول بقائه ، الملتمس بركة دعائه ، ..... محمد على السراجي يهدي سلاماً أبهى من الروض الأنيق وأزكى من المسك السحيق الى الأخ الشـقيق ، الفقـيه الفاضـل العلامة ، الشامة في العصر والعلامة ، من أضحى به العلم

---

[٤٧] نفس المصدر صـ٣٢١ .
[٤٨] نفس المصدر صـ٣٢٢ .

منتشـــراً ، والفضـــل مشـــتهراً والمجـــد مفـــتخراً ، طراز المجد وتاجه ، وقمر الفضل وسراجه[٤٩] ..... الخ .

فإذا كانت الألفاظ والعبارات بفصاحتها وبلاغتها تنبى عن طول باعهما في مجال العلم والأدب ، فأنها كذلك توحي بما يتمتع به كل منهما من صفات عظيمة وخلال حميدة، جعلته معظماً ومحبباً الى أقرانه والناس .

شعره :

وصل الينا شعر السودي من خلال ديوانين الأول : بلبل الأفراح وهو الفصيح ، والثاني نسيمات السحر ونفحات الزهر ، وهو شعر حميني بالأنظمة المستحدثة والخارجة عن أوزان الخليل ، وقد طبع أخيراً . بتحقيق الأستاذ عبد العزيز سلطان ، وتقديم الأستاذ الدكـــتور / عـــبد العزيز المقالح ، بعد أن ظل قرابة خمس مائة عام ضمن المخطوطات المحفوظة في رفوف المكتبات الخاصة والعامة .

وكمـــا ســـبق فإن انشغال السودي في مقتبل حياته انما كان بالعلم طلباً وإفادة ، وأغلب شعره الذي بين أيدينا كان في مرحلة متأخرة ، (ما وقع إلا بعد الجذب وحكى أنه ما كان يقوله إلا في حال الوارد مثل ابن الفارض ، فكان يكتب فوق الجدران ، فإذا أفاق محا ما كتبه من ذلك ، وكان تلاميذه بعد أن علموا منه ذلك يبادرون بكتب ما وجدوا من نظمه على الجدران فيجمعون بعضه الى بعض ، وعندما أنشد بعض المنشدين قصيدة من نظمـــه طرب لها ، ثم سأل عن قائلها ، فقيل انها من نظمك ، فقال حاشا ما قلت ، وكرر ذلك [٥٠] فهو شعر وجداني ذوقي روحي صوفي يصدر عن محبة إلهية ، وعاطفة صادقة بعيداً عن التكلف والتصنع لذا كان له مكانه في القلوب وأثرة على النفوس وحظى بالقبول فـــي عصره ، يقول العيدروس عنه وعلى نظمة قبول عجيب ، وفيه تأثير غريب ، فانه

---

[٤٩] نفس المصدر صـ٣٢٣ .

[٥٠] النور السافر صـ١٤٣ .

السـهل الممتنع ، يفهمه كل أحد ، مع متانة عبارته وتتأثر به الناس غالباً ، ويكثر عليه وجد المتواجدين .

بـل قـيل أنه فارضى اليمن ، وشعره رقيق جداً تقبله الطباع ، ويفهمه الخاص والعـام ، يذكـر الأوطان ويهيج الأشجان [٥١] ومن خلال النظر في هذا الشعر يجد الباحث صـحة ذلك ، فهو شعر في غاية العذوبة والسهوله ، مع جودة السبك ومتانة العبارة وهو يدور حول الحب الإلهي ، والمشاهدة والمواجيد الصوفية ، ويتضمن مدحاً لبعض الشيوخ فـي اليمن وخارجها ، حيث مدح الشيخ أحمد بن علوان والشيخ عمر بن داود البشري ، والشيخ جمال الدين محمد بن على بن بشر الغيثي، والشيخ عبد القادر الجيلاني ، وقصر شعره على هذين الغرضين ، دون سواهما ، فلم يخض في الأعراض الشعرية التى خاض فيها شعراء عصره، من هجاء ورثاء ووصف، واخوانيات ، وألغاز وأحاجي ، وطبيعيات وغيرها ، ولم يمدح أحداً من السلاطين الذين عاش في ظل حكمهم ، أو أحداً من الأمراء أو الوجهاء أو أرباب الأموال . فهو لا يريد إلا مولاه ، وما سواه في نظره هباء :

فلا عيش إلا في مواطن قربهم وأما سوى هذا فعندي كالهبـاء [٥٢]

وهو يترفع عن ما هنالك وتسمو همته إلى ما هو أعلى من ذلك .

حيث يقول :

ولي همة تعلوا إذا ما ذكرتهم فاشطح من سكري وانعم مشـربا [٥٣]

ويقول فيمن تملكه حب دنياه ، وذل لغير مولاه :

على نفسه فلبيك طول حيـاته لقد ضيع المحروم ما لايضيـع
يهون على مثل الذي قد أضاعه عزيزات أرواح تفوت وتنـزع
فكيف بشيء لا يسر وجـوده سوى غافل مازال بالجهل يصرع
تملكة حب لدنياه فاضـح فأصبح في الفاني من الرزق يطمع

---

[٥١] النور السافر صـ١٤٤ .
[٥٢] بلبل الأفراح صـ ١٠٧ .
[٥٣] نفس المصدر صـ ١٠٨ .

وذل لمن يعطيه من فضل ربه وما طامع إلا بذل ويخضـــــــع
ولو أنه ألقى مقاليد أمـــــره إلى ربه ما كان بالفقر يفجـــــع
وكان غناه في الوقوف ببابـــه ففـــي باب مولانا المهيمن مقنـــع [٥٤]

وقـــبل أن نقف على شعره الصوفي في ديوانه بلبل الأفراح نعرج على قصيدة المديح عنده ، وكما سبق فليس هناك سوى غرضين الشعر الصوفي ، وقصائد لا تتجاوز الأربـــع فـــي المديح ، وتبدأ كل منها بمقدمة غزلية ولكنه غزل صوفي ، يحسن الشاعر مطلقـــة ، كمـــا يحســـن التخلص منه الى غرضه ، فقصيدته في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني يستهلها بقولة .

سرت لي فسرت مهجتي نسمة الفجر واهدت إلى سري قبول الهوى العذري

ويمضي متغزلاً حتى يتخلص الى غرضه ، قائلاً :ـــ

فلله سمح أسمعته حديثهـــا ولو كان من خلف الحجاب أو الستر
فدع من حظي منها بكل مراده وذلك محي الدين نسل النبي الطـــهر [٥٥]

ويستهل القصيدة التي في مدح الشيخ احمد بن علوان بقولة

يا حادي العيس بالألحان والنغم عرج بخيف مني من أيمن العـــلم

ويمضي في تغزله إلى أن يقول:

لله أيامنـــا بالابرقـــين لقـــد ظفـــرت فيها بلثم ألا شنب الشبـــــم
ونلت فيها مراماً عـــز مطلبـــــه وغبـــت بالقرب عن عرب ون عجـــم
لكنها قصرت هذا مكـــ ـــدرهـــا وذاك من أجل قل البخت والقســـــم
مالي على عودها عون اصول بـــه إلا الولى الصفي بالجود والكـــــرم
ذاك ابـــن علوان من شاعت فضائله بحر المعارف قطب الأرض من قـــدم [٥٦]

ويفتتح قصيدته في مدح الشيخ جمال الدين محمد بن على البشرى الغيثي ، بقوله:

أراك تلوم الصب في الرشا العذري وقد جعل اللوام من أوسع العـــذر

---

[٥٤] بلبل الأفراح صـ١١٤ .
[٥٥] نفس المصدر صـ١٣٨ .
[٥٦] نفس المصدر صـ١٤١.

ويتخلص الشاعر الى غرضه حين يقول :

عقاربه بعت الوقـــــار ولم أكـــن شرطت خيـــــاراً إن رمتني بالعقـــر
سقتها اكف الفضل شمس شموســـنا أبا الغيث غوث الخلق في العسر واليسر[٥٧]

أمـــا قصـــيدته في مدح شيخة عمر بن داود البشري فإنها تصور موقفاً وجدانياً صـــادقاً ، وفرحة روحية غامرة ، أتت استجابة لما حباه به شيخه من هدية وما أكرمه به مـــن عطاء ، فكانت القصيدة متناسبة مع ذلك الموقف النفسي المفاجئ ، والذي دفعه إلى تصـــوير رد فعلـــة تصويراً تلقائياً ، معبراً عن عاطفة صادقة جياشة إزاء شيخه ، دون تمهيد أو مقدمات ، قائلاً :

وافـــى ســـــروري هذه العشيـــــة وجملـــة الأســـــرار دنت إليه
فـــالنفـــس عن كل الهموم خليـــة تنبهي واهمتي المدنيـــــــــة[٥٨]

أما الخاتمة :

فهـــي بالصلاة على النبي صلى الله علية وسلم وبالصلاة على الآل والصحب كما في قوله :

ثم الصلاة على المختار من مضر خير البرية في الأوصاف والشيـــم
والأل والصحب ما غنت مطوقـــة وما شرى البارق النجدي على الخيم[٥٩]

أمـــا الغرض الثاني وهو التصوف ، فهو وإن كانت قد وردت فيه إشارات إلى الزهد مثل قولة

على نفسه فليبك طول حيـــاته لقد ضيع المحروم ما لا يضيـــع
يهون على مثل الذي قد أضاعه عزيـــزات أرواح تفوت وتنـــزع

.....

تملكه حب لـــــدنياه فاضـــح فأصبح في الفاني من الرزق يطمع[٦٠]

---

٥٧ بلبل الأفراح صـ١٤٣.
٥٨ نفس المصدر صـ١٩٤ .
٥٩ نفس المصدر ١٤٣.
٦٠ بلبل الأفراح ص ١١٤ .

لآن جانب الحب الإلهي ، وما يتعلق به من مشاهدات ومذاقات ، قد طغي عليه، حتي ليمكن القول أنه اقتصر عليه دون بقية الأغراض التي تندرج ضمن الشعر الصوفي كالتسبيح، والدعاء ، والاستغاثة والتوسل والمديح النبوي .

وهاهو يصرح بحبه وإخبات قلبه لمولاه واعراضه عن كل شئ سواه ، وليس له التفات إلا إليه ، واضعاً نصب عينه قول الله تعالي (والذين آمنوا اشد حبا لله)[٦١] وهو قد جبل على الحب وسقى كأسه قديما قبل أن يبرز إلى هذا العالم ، حيث يقول مؤكداً على حبه بالقسم :

أقسمت بالسين بعد يـــاء ... واللام والميم قبـــــل راء
وسورة المرسلات عرفـا ... وآل حم والنســـــــاء
والألف الأول المبـــدأ ... علـــى حروف من الهجـــاء
اني على حبكم مقيـــم ... وقد تركت السوى ورائـــي
مالي ألي غيرة التفـــات ... والحب من شيمه الوفـــاء[٦٢]

قد براه الحب وأنحله ، بل لقد باعه واشتراه ، فأصبح مملوكا له ، وليس ثم شئ يسعده سوى محبوبة الذي لم يبق في قلبه متسع لسواه ، يقول عن ذلك :

حبي لكم قد برانـــي ... وباعـــــــني واشتراني
للناس عيد وانـتـــم ... عيدي مع المهرجـــــاني

.....

نسيت زيداً وعمـــراً ... بكم وتلك الأمانـــــي
حتى نسيت وجـودي ... وغبت عن كل فإنـــي
وما لحظت ســواكم ... إلا ثنيتم عنانـــي
يا ساكنين فـــؤادي ... ما في فؤادي ثانـــي[٦٣]

---

٦١ البقرة ١٦٥.
٦٢ بلبل الأفراح ١٤٩.
٦٣ نفس المصدر ١٨٩.

فليس في فؤاده ثاني وهذه حقيقة التوحيد ، فليست حقيقة التوحيد أن لاثاني له في الملك ، إذ هو كذلك من قبل أن يأمرك بذلك ، ولكن حقيقة التوحيد أن لاثاني له في قلبك أورد الشاعر هذه المعاني السامية في قالب من الألفاظ السهلة الرقيقة ، وأسلوب عذب مؤثر . وإذا كان المحب يتشوق الي محبوبة وتهفو نفسه الي رؤيته ، فان في ما بين أيدينا من شعر الكثير من الأشواق والحنين ، من ذلك قوله :

أحّن الي تلك الربوع صبابة ... وانشد عنها الركب في كل موقف
ويعذب لي ذكر العذيب وحاجر ... واشدو ولا اصغى لقول معنف
فلله هذا الحب أتلف مهجتي ... وصير وجدي ظاهرا غير مختف
وانحلنى حتي لقد ضل عائدي ... فلم يرني الابقول معرف
واذهل عقلي لا بجرم آتيته ... فهل من شبيه لي كئيب ومد نف
احن إذا ماجن ليل كعادتي ... واثمل كالسكران من دون قرقف
فيا راكب الوجناء نحو أحبتي ... إذا جئت ذاك الحي يا صاحبي قف [٦٤]
.....الخ

ولا يخلو هذا الشعر من الشكوى من البعد والهجر وما يتبعهما من آلام ومعاناة ، كما في الآبيات التالية ، التي يصور من خلالها موقفا وجدانيا ، بأسلوب خبري ، نقف من خلاله على معاناته ، وقد سرى البرق من جهة محبوبه فكشف سره ، وبعث أحزانه ، واجري مدامعه واسهر ليله :

سرى البرق من نجد فهيج لي وجدي ... وكشف أسراري واظهر ما عندي
ونمت على حالي دموع تساقطت ... من الجفن حتي خد فيض لها خدى
وصرت عليل البال مضنى مولها ... جريح فؤاد لا أعيد ولا أبدي
أسامر ذاك البرق ليلى كله ... وحيدا فريدا في هواي وفي قصدي
فيا أيها البرق الذي فتت الحشا ... رويدك لا تفتك بروحي على عمد
فما أنا ممن يا بريق تروعه ... بومضك لولا جيرة العلم الفرد

---

[٦٤] نفس المصدر ص٩٦ .

ولو لم تلح في حيهم ما سجيتنـــي ولا كان طرفي منك يكحل بالسهـد [٦٥]

والســودي كثــيراً مــا يذكــر المواطن والآثار في شعرة ، ويحني الي المرابع والديار، مثل نجد و رامة و الغور و العقيق منها قوله :

بريق الغور من اكنـــــاف رامة شجا قلبي وذكره غرامـــــــــه [٦٦]

أيا بارقا بالغور ومضك مــ تلفي على أنني راض فيا برق رفــرف

واذكرتني عهدا قديما بـــرــامة ظفرت به أيام دهــرى مــنصف [٦٧]

وقولة :

وإن ذكر الغوير شدا وغنـــي وخف عليه تكرار المعـــــــاد [٦٨]

وقوله :

إذا ما ذكرت العيش في شعب عامر يكاد نياط القلب حزنا يقطـــــع

وإن لاح لي بروق الغــوير وحاجز جرت فوق صحن الخد مني ادمع [٦٩]

وقوله :

حي العقيق ودمع جفنك مطلـــق ها قد بدا الحسن البديع المطلــق [٧٠]

وقوله :

يا حاري العيس بالالحان والنعـــم عرج بخيف منى من أيمن العلــم

وفي ربوع اللوى والرقمتين فقــف ولاتمل عن غريب السفح من أضم

واسكب دموعك في اوطان كاظمــة وانزل على جيرة حلوا بذي سلــم [٧١]

---

٦٥ بلبل الإفراح ص ١٢٣ .
٦٦ نفس المصدر ص ٩٤ .
٦٧ نفس المصدر ص ٩٦ .
٦٨ نفس المصدر ص ١٠٦ .
٦٩ نفس المصدر ص ١١٣.
٧٠ نفس مصدر ١٤١.
٧١ بلبل الأفراح ص ٩٩.

ولا يخلـــو الشعر الذي بين ايدينا من الشكوى والعذل ، والعاذل ، الذي ما عذل إلا لجهله ، ولأنه لم يذق مذاقا ته،ومشاهداته ، ولذا يخاطبه الشيخ قائلاً :

عاذلي في الحـــــب أو خطره ... لست من ليلى ولا سمـــــــــره
أنـــا في واد أظنك مـــا ... قلت في الأ فياء من شجـــــــره
لا تطل فيه الـملام إلـــى ... أن تذوق الحلو من ثمـــــــرة
أن سمعي اليوم في صمـــم ... عن عذ ول زاد في هـــــدره [٧٢]

وهو يسم عاذله بالحماقة والافتراء ، وبلادة الطبع وقساوته ، قائلاً:

مالا مني في الحب إلا مفتر ... أو أحمق قاسي الطبيعة أو دعـــي [٧٣]

وهـــو لا يصـــور العـــاذل في صورة الجاهل فحسب بل الجاهل الممخرق ، والممخـــرق وهـــو مـــن يفتري الكذب ويختلف الأقاويل ، والذي يسعي مجتهداً في نزع المحبة من فؤاده ، وابدلها بزرع بذرة الكراهية والفرقة ، ووسيلة العدول في ذلك مفتريات كاذبة لا أساس لها ، يصور ذلك قائلاً :

ولقد اقول لعاذلي في حبـــــه ... أف لصب من ملامك يفـــرق
إن قلت قد قام الدليل بتيـــــهه ... ودلالـــه فجميع ذاك تملـــــق
شرط المحبة أن كل متيـــــم ... يعصى العذول إذا أتاه يمخـــرق
لو كان ينصف ما أراد بجهلـــه ... بين المحب ومن أحب يفـــــرق
إن الخلي عن الشجي بمعـــزل ... مضت الدهور ولم يزل يتحذلـــق
كم بين مرشوق لحـــظ دأبـــه ... سفك الدماء وبين من لا يرشـــق
مالي وللعذال فيك عدمتهـــــم ... يا ليتهم بين الورى لم يخلقـــوا [٧٤]

أمـــا الرمز فإن له في شعر السودى مكانا واسعا ، شأنه في ذلك شان غيره من الشـــعر الصـــوفي الذي يرتكز أساساً على الرمز ، الذي هو : (التعبير عن معني بألفاظ تدل في ظاهر ها على شئ قريب يدركه القارئ العادي وتحمل في باطنها معني آخر بعيدا

---

٧٢ نفس المصدر ص ٩٩ .
٧٣ نفس المصدر ص ١٠٢ .
٧٤ نفس المصدر ص ١٢٧.

لا يصل إليه إلا الدارس المتعمق ، أو المتخصص بفهم بواطن النصوص [٧٥] وهو أدق من اللغـز [٧٦] والرمـز الصوفي ليس غاية وانما وسيلة ، وهو يختلف اختلافا بينا واضحا عن الطريقة الرمزية في الشعر الحديث ، وذلك أن الرمزية في الشعر الحديث تنشد الموسيقية، ولا تحفل بالفكرة أو المظهر ، وهناك اعتبار آخر استدعي الرمز في هذا النوع من الشعر (الشعر الصوفي) هذا الاعتبار نجم عن الحالات النفسية التي تنشأ عن الأحوال والمواجيد، وتقصر مادة الألفاظ عن تصويرها تصويراً دقيقا فيعمد الشاعر (الصوفي) إلى الرمز و الإشارة ليعبر عن فيضه الباطني ، ويبدع لنفسه مصطلحات خاصة لا يدركها ألا من كان مـثله . أمـا مصادر هذا الرمز وبدايته فهي قديمة منها تلك الحكاية التي دارت بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وبين الصحابي الجليل حذيفه بن اليمان رضي الله عنهما عندما لقية أمير المؤمنين عمر فسأله كيف أصبحت با حذيفه ؟ فقال حديقة : أصبحت احب الفتنة واكره الحق وأصلي بغير وضوء ، ولى في الأرض ما ليس لله في السماء ، فغضب أمير المؤمنيـن غضبا شديدا ،حتى دخل عليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فأخبره عمر بما كان له مع حذيفة ، فقال علي ، صدق يا عمر ، يحب الفتنة يعني المال والبنين ، لأن الله تعالي يقول (إنما أموالكم وأولادكم فتنة [٧٧] . ويكره الحق ، يعني الموت ، ويصلي بغير وضـوء : يعني أنة يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بغير وضوء في كل وقت وله فـي الأرض مـا لـيس لله في السماء ، يعني أن له زوجة وولداً ، وليس لله زوجه وولد سـبحانه وتعـالى [٧٨] . وعندما منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، من أن يشبه شاعر بامـرأة ، أنشد حميد بن ثور أبياتاً من الشعر تحدث فيها عن شجرة من الأشجار رمز بها إلى محبو بته ، قائلاً .

أبى الله إلا أن سرحة مالـــــك ... على كل أفنان العضاه تـروق
فقد ذهبت أ رضا وما فوق طولها ... من السرح الا عشه وسحـوق

---

٧٥ بكري شيخ أمين : مطالعات في الأدب المملوكي والعثماني /ص ٢٥٨.
٧٦ انظر عن اللغز ابن حجة الحموي جـ٢ ص ٣٤٢ ، عصر سلاطين المماليك جـ٨ ص ١٧١ .
٧٧ التغابن الآية ١٥.
٧٨ د/ عبد العزيز المقالح : الشيخ احمد بن علوان وخصوصيات الصوفية في اليمن صـ٢٠ مجلة دراسات يمانية عدد ٤١ ، ١٩٩٠ .

إلى أن يقول :

فهل أنا إن عللت نفسي بسرحـــة من السرح موجود على طريق[٧٩]

لقد تحدث عن شجرة من الأشجار واراد شيئاً آخر . فإذا نظر الباحث الى شعر السودي وجد كثيراً منه قد ارتدى رداء الرمز ، كما مر بنا فيما سبق ، وكما في قوله :

أيا جيرة من أيمن الشعب طنبـــوا متى الشمل ياسكان رامة يجمع
رعى الله أيام الوصال ولارعـــى زمان صدود للفـــؤاد يـــروع
إذا ما ذكرت العيش في شعب عامـــر يكاد نياط القلب حزناً يقطـــــع [٨٠]

فمـــا ايمـــن الشعب ، وما سكان رامة ، وما شعب عامر سوى رموز يعمى بها الشاعر عن قصيدة وغايته .

ويقول في أبيات أخرى :

يناولني الساقي ماداما قديـــــــمة إذ جليت في الليل فاقت سنا الفجـــــــر
وإن لمعت في الكأس حارت عقولنا وقلنا ابرق الكأس ام لهب الجمـــــر
ومن قبل خلق الكرم كان عصيرها ولم يك ذاك العصر يا صاح في عمري
مداما يديم الصحو إدمان شربهـــا وقد سكرت منه المدامة بالنشـــــــر
إذا شم روح الميت ريح عبيرهـــا تهيا منه الروح للبعث والنشـــــــر [٨١]

فمـــا الســـاقي ومـــا الكـــأس ، وما تلك المدام التي تفوق سنا الفجر في ضوئها ونورها، والتي عصرت قبل أن يخلق الكرم ، وما المقصود بالصحو والسكر ، ثم ما تلك المـــدام التـــي لا تسكر و انما تحدث العكس فكلما ازداد شاربها شربا ازداد صحوا والتي تحـــي الأرواح وتبعث الموتي لاشك انها ليست خمرا محسوسة ولا سكراً كالذي يعرف الـــناس فالشـــاعر أبعـــد الناس عن ذلك ولكنها النشوة با لحق والتحليق في فضاء الجمال

---

٧٩ أبو الفرج الأغاني جـ٤ صـ٣٥٦ انظر مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني صـ٢٥٨ .
٨٠ بلبل الأفراح صـ١١٣.
٨١ بلبل الإفراح ص ١٤٤.

المستور[٨٢]، أنها عبارات ومصطلحات وإشارات ترمز إلى مذاقات وعلوم ومشاهدات لا سبيل إلي معرفتها عن طريق الأدب أو التمرس في كلام العرب .لأنها علوم ذوقية اصطلاحية وها هو السودي يصرح ان تلك الأسماء التي يتغزل بها والعبارات التي يشير بها الي علومه ما هي الاسماء وهمية وكنايات رمزية ومغالطات لفظية ، بيد أن معانيه تفوق الوصف ، وتجل عن التعبير ، فيقول :

لربع العامرية في فؤادي ... محل دونه خرط القتاد
عزيز شط مرمى العقل فيه ... أجار ذوي الحضارة والبوادي
اغار عليه منى ان اراه ... واكتمه الاحبة و الاعادي
أغالط عنه أحيانا بحزوي ... واخبط غيرة في كل وادي
ولى معني يجل عن الغواني ... فدعني من بثينة او سعاد
وعرض لى بعرب من زرود ... وايه لى بمن اهوى ونادي [٨٣]

فهو يصرح ان لمحبوبة في فؤاده مكاناً لا يصل إليه أحد ، فدونه خرط القتاد ، أي ضرب الأعناق كما يقرر ان ذلك الكتمان ما هو لا غيره على المحبوب فهو يغار علية حتى من نفسه ، ويكتمه الاحبة قبل الأعادى ، كما انه معني يجل عن الأسماء والعبارات ويعز عن إدراك الفهم ومع ذلك فإن السودي قد يبتعد عن الاشارة والرمز ، ويناجي مولاه مباشرة بمعان قريبة وألفاظ سهلة ، كما في الأبيات التالية :-

ليس عند الخلق من خبر ... عنك يا اغلوطه الفكر
تاهت الألباب فيك وما ... ميزت وردا من الصدر
حيرة عمقت فاني فتي ... رام عرفانا ولم يحر
عميت أنباء ذاك على ... كلهم في البدو والحضر
وغدا يسال بعضهم ... عنك بعضا عل من ظفر

---

[٨٢] انظر د/ عبد العزيز المقالح مقدمة ديوان بلبل الأفراح ص٢١.
[٨٣] بلبل الأفراح ص ١٠٥.

فا نثنوا والله ما وقعـــــوا لاعلى عين ولا اثـــــــــر [٨٤]

ويقــول من قصيدة اخرى بأسلوب الخطاب ولعله يخاطب نفسه ، طالبا الوثوق بـــالله تعالـــي ورجاءه وحده ، فعنده كل خير ، وهو المتصرف وحدة في الكون ، ليس له شريك ولا ظهير ، وكل ما في الكون مفتقر إليه :

ثق بمولاك في جميع الامـــور واحسب الناس كلهم في القبور
وارج منه العطاء لامن ســـواه فهو يوليك كل فضل وخـــــير
لا تعول ألا عليه تعـــــــالى عن شريك في ملكه وظهـــير
كل من في الوجود كل عليـــــه ليس يرجون غيره من نصـــير
عنده ما تروم من كل خـــــير جل من خالق عليم قديـــــر [٨٥]

(وكما استخدم السودي قاموس العذريين فقد استخدم في الوقت ذاته قاموس شعر الخمريات وهو في الحالتين ابعد الناس عن الغزل الحسي ،ومعانيه وعن السكر بكل معاينة سوى النشوة بالحق ، والتحليق في فضاء الجمال المستور[٨٦]). وفي خمرياته قوله :

الحب في مهجتي نار الهوى قدحا والحب ناولني من راحه قدحـــــــا
فلا سبيل الي صحوي وقد جليت و لا ابالي بمن في شربها قدحـــــــا
وفي جفون مدير الراح ترجـمة تنى بلطف الذي من طرفها اصطبحـا
وان من لم يذقها فهوفي تـــــرح لا يعرف الأنس في الدنيا ولا الفرحـا
فيا نديمي ناولني معتقـــــــة صرفا لتصرف عني الهم والبرحـا [٨٧]

لقــد تعلق السودي كغيره من شعراء الصوفية بجمال الله تعالي المتألق في كل شـــئ تتوهج به الحياة ، وتتزين به الأرض ، وتتجلى به الكائنات ، إن نشوتهم لا تجعل الأشـــياء تفقد حدودها الواضحة ومعالمها المعروفة ، وإنما تزيدها في نفسه وضوحا وهي

---

[84] بلبل الإفرح ١٢٨
[85] مصدر ص ١٥٤.
[86] عبد العزيز المقالح قراءة في ديوان شاعر الصوفية الأكبر في اليمن ص٢١
[٨٧] بلبل الأفراح ص ١٣٦.

تختلف عن النشوة الحسية التي تختلط معها مدركات الحواس ، وتتداخل الألوان و الأشكال [٨٨] ومن خلال الاستقراء الشعر السودي نجد وانه أن كان قد حلق في آفاق الروح، وصور أشواقه و مواجيده في إطار من الرمز و الإشارة ، وتحدث عن الكأس والشراب الرمزي ، إلا انه لم يقع فيما وقع فيه الحلاج وغيرة ممن خرجوا عن مفهوم اللغة ، (وتجنب الاستجابة للشطحات الروحية ، التى تجعل الصوفي الشاعر يفقد قدرته على التحكم في الألفاظ ، والانسياق العنيف وراء لغة التعبير الرمزي المغلق .....ولم يقترب من مناطق التجربة الصعبه حيث تأخذ اللغة مفهوما مخالفا لما استقر عليه المفهوم السائد عند الناس) [٨٩] واذا نظرنا الي لغة الشاعر واسلوبة وخصائصه ، فان السودي ، وكما سبق في أول البحث من كبار العلماء في عصره ومن المعروف ان شعر العلماء ياتي غالبا متأثرا بعلوم التفسير والحديث والفقه وغيرة من العلوم الشرعية مما يثقل أشعارهم بالمصطلحات العلمية ، اما [٩٠] السودي فقد اعتمد المصطلحات الصوفية ، واستخدم قاموس الغزل العذري ، والخمريات ، فأتي شعرة مليئا بالمصطلحات الصوفية والعبارات الغزلية ،اما المصطلحات العلمية فهي قليلة ونادرة منها قوله :

كم من حديث في الهوى لى مسند ومسلسل إسناده متحقق

أرويه عن بان الحمي ومحجر وحديث اهل الحب ابلج مشرق [٩١]

وقد ابتعد الشاعر في لغته عن التعقيد والغرابة والثقل ، وترفع عن العامية والابتذال ، واتسمت لغته بالسهولة و العذوبة ، لمسنا ذلك من خلال ما سلف ، كما يتخلى من خلال الأبيات التالية :

شاهد جمال محيا غابة الطلب تظفر فديتك با لأعلى من القرب

لا تكن عن حياة الروح مشتغلا بالترهات فما هذا من الأدب

---

٨٨ ديوان شاعر الصوفية ص ٢٢ .

٨٩ مقتبس في الكلمات د. عبد العزيز المقالح في تقديمه لفتوح الشيخ احمد بن علوان ص ١٨ بتصرف.

٩٠

٩١ بلبل الأفراح ص ١٢٦.

والحظ محاسن تسبي العقل اجمعه من السرور بها والأنس والطـرب
وخلص القلب من الوان غربتـــه وادخل حمى ربه الأستار والحجب [٩٢]

يلاحـظ القـارئ جمال اللفظ وعذوبته إلى جانب سمو المعني واهتمام الشاعر باختـيار ألفاظـه والملاءمة بينها وبين معانية ، وحرصه على فصاحتها وسهولتها ، أما المعاني الدينية المستمدة من كتاب الله وسنه رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وفي الشرع الشـريف ، فـالديوان طافح بها ، بل يقوم عليها . وإذا كانت قوة عاطفته وشفافية روحه وتمكنه من لغته قد كبحت جماح الألفاظ ، والمصطلحات العلمية فلم تطغ عليه ، فإنها لم تفعـل ذلـك بالنسـبة لتأثره بمن سبقه من شعراء الصوفية كابن الفارض وابن علوان و البرعي وغيرهم ، إذ يلاحظ ذلك التأثر هنا أو هناك وإن كان قليلا ويمكن القول إن ابرز من تأثر به السودى هو ابن الفارض ، فقول السودي

آيا بارقا بالغور ومضك ملتقـــى على أنني راض فيا برق رفرف [٩٣]

يذكر نا قول ابن الفارض :

أبرق بدا من جانب الغور لامـــع أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع [٩٤]

وقول السودي

وانحلني حتى لقد ضل عائـــدي فلم يرني الا بقول معـــــرف [٩٥]

من قول ابن الفارض

أخفيت ظني حتى خفيت عن الفنـــي وعن برءِ أسقامي وبرد أوامي [٩٦]

وقول السودي :

---

[٩٢] نفس المصدر ص ١٠٣.
[٩٣] بلبل الأفراح صـ٩٦ .
[٩٤] ديوان ابن الفارض صـ٥٩ .
[٩٥] بلبل الأفراح صـ ٩٦ .
[٩٦] ديوان ابن الفار ض ٥٨ .

بريق الغور من أكناف رامـــــــة شجا قلبي وذكـــره غـــرامه

يذكرنا قول البرعي :

أرى برق الفيـــــر إذا تـــــراءى بأقصى الشام زودني بكـــــاء [٩٧]

وقول السودي

إني لأفرح بالبشرى وإن بعـــــدت منهم وفي ذكرهم تسهيل أحزاني [٩٨]

من قول الشيخ احمد بن علوان :

وبشرينا عن الأحباب هل عطفـــوا بالله أو وعدوا يوماً بلقـــــيانا

إنا لنفرح بالبشرى وإن بعـــــدت وبالحديث إذا ما عنهم كانـــــا [٩٩]

وإذا كانـــت السمة المميزة للأدب في هذه الفترة هي سمة المحسّنات البديعية ، حيـــث أقبل الشعراء في سائر الوطن العربي على الصنعة ، واشتغلوا بزخرفة . الألفاظ وتنميقها ، على حساب المعاني ، فإنه ومن خلال النظر في ديوان السودي يلاحظ الباحث عدم اهتمامه بهذا الجانب ، وانصرافه عن الصنعة .

وان لاحظ شيئا منه هنا او هناك فهو قليل، كما أنه يأتي عفويا دون تكلف حيث (اقترب الشاعر منه بحذر ، فرحيله الدائب في بحار نشوة لا حدود لها قد أعطى قصائده قدرا من الحرية أبعدها عن السيطرة المباشرة للبديعات) [١٠٠]

ويمكن القول أن ابرز أنواع البديع في الديوان هو الجناس ، من ذلك قوله :

لغير جمالكم نظري حرام وغير كلامكم عندي كلام [١٠١]

---

[٩٧] ديوان البرعي ص ٦٤

[٩٨] بلبل الأفراح ص ١١٥

[٩٩] الفتوح ص١١١

[١٠٠] بلبل الأفراح ص ١١٢

[١٠١] بلبل الأفراح ص ٩٤.

فالجـناس الـتام في البيت بين كلام وكلام ، ويلاحظ انه غير متكلف ، بل مما يستدعيه المعني ، ويسهم في جمال الصورة وقد يأتي الجناس غير تام ، كما في قوله :

بريق الغور من اكناف رامه شجا قلبي وذكره غرامة [١٠٢]

فالجناس بين رامه وغرامة ، وهو جناس مقبول يمضي فيه الشاعر على سجينه دون افتعال او تكلف . وهكذا نجد أن السودي عايش في الفترة الاخيرة من حياته مرحلة سياسية مضطربة ، ربما كانت من اخطر المراحل التي موت بها اليمن ، فمثل في مدينه تعـز نبراسا مضيئا يشع با لعلم والهداية ويشدو شعرا في غاية الجودة ينطوي على معان سـامية تخاطـب الفكـر والوجدان وتتوجه بالمحبة والأشواق والتعظيم إلى الذات العليه بعـبارات عذبـه سهلة متناسقة متلائمة ترفده فيها ثقافته الأدبيه واللغوية التي مكنته من اختـيار المفـردة المناسبة ووضعها في المكان المناسب ، دون تعسف أو إكراه وتوظيف الألفـاظ فـي خدمة المعاني مما خلق أسلوبا متينا متماسكا ، وصوراً شعريه تشع جمالاً وروعـه إلـى جانب ما ينطوي عليه من تجربه صادقه وعاطفة جياشة لا تكسبه روعة فحسـب بل تمنحه سلطانا على القلوب وتأثيراً في النفوس وهناك الكثير في شعر السودي يستدعي الوقوف والدراسة الي جانب ديوانه الحميني نسيمات السحر ونفحات الزهر .

[١٠٢] قراءه في ديوان شاعر الصوفية ص ١٩ بتصرف.

المصادر والمراجع :

١. الأدب اليمنـــي عصـــر خروج الأتراك الأول . عبد الله محمد الحبشي (الدار اليمنية للنشر والتوزيع الطبعة الأول بيروت ١٤٠٦ هـــ-١٩٨٦ م).

٢. الأعلام . الزركلى (دار العلم للملايين بيروت – الطبعة السادسة – ١٩٨٤ م).

٣. الأغانـــي .الأصـــبهاني (دار الفكـــر للطباعة والنشر – بدون تاريخ مصورة دار الكتب المصرية) .

٤. بدائـــع الـــزهور في وقائع الدهور ابن إياس (الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – الطبعة الأولى -١٤٠٢هـــ- ١٩٨٢).

٥. الـــبدر الطـــالع بمحاســـن مـــن بعد القرن السابع .محمد بن على الشوكاني (ط السعادة ، بالقاهرة ١٩٣٩م).

٦. البداية والنهاية . الحافظ ابن كثير (بيروت – دار الفكر -١٤٠٢هـــ-١٩٨٢ م).

٧. الـــبرق اليمانـــي فـــي الفتح العثماني .قطب الدين محمد بن محمد المكي النهروالي (دار اليمامة-١٣٨٧هـــ- ١٩٦٧م).

٨. بلوغ المرام . حسين بن احمد العرشى (دار الندوة الجديدة – لبنان – دت).

٩. بـــنو رســـول وبـــنو طاهـــر . د.محمد عبد العال (دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ١٩٨٩ م).

١٠. تـــاريخ الأدب العربـــي. عمر فروخ (دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الخامسة – ١٩٨٤م).

١١. تاريخ اليمن (فرحة الهموم والحزن)عبد الواسع الواسعي .(الدار اليمنية للنشر ، بيروت الطبعة الثانية ١٩٤٧م).

١٢. خزانة الأدب . ابن حجة الحموي (دار ومكتبة الهلال بيروت — ١٩٨٧م).

١٣. الســـلوك في طبقات العلماء والملوك . بهاء الدين محمد بن يوسف الجندي . تحقيق محمد علي الأكوع –(وزارة الإعلام والثقافة صنعاء الطبعة الأولى -١٤٠٩هـــ ١٩٨٩ م).

١٤. شـــذرات الذهـــب .ابـــن العمـــاد الحنبلـــي . (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـــ ١٣٩٩هـــ).

١٥. شعر العامية في اليمن . د. عبد العزيز المقالح (دار العودة بيروت ١٩٨٦ م) .

١٦. عـدن فرضـة اليمن . حسن صالح شهاب (مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ـ الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ) .
١٧. عصر السلاطين المماليك . د.محمود رزق سليم (مصر مكتبة الآداب ١٤١٩) .
١٨. العقود اللؤلؤية ـ علي بن الحسن الخزرجي . تحقيق الشيخ محمد بسيونى (مطبعة الفجالة القاهرة ١٣٢٩هـ ١٩١١م) .
١٩. غايـة الأمانـي في أخبار القطر اليماني ـ يحيى بن الحسين القاسم ، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، د. محمد مصطفى زيادة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٣٨٨هـ) .
٢٠. قـرة العيون بأخبار اليمن الميمون ابن الديبع الشيباني تحقيق محمد على الأكوع (المكتبة اليمنية الحوالية الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م) .
٢١. لمحـات في التاريخ والأدب اليمني . عبد الله أحمد الثور (دار الهنا للطباعة ـ القاهرة ١٩٨٣م) .
٢٢. مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني د. بكري شيخ أمين (دار العلم للملايين بيروت ـ م١٩٨٦).
٢٣. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي . ابن تغري بردي تحقيق احمد مصطفى أبو العلا ـ محمد محمد جابر (مكتبة الجندي ـ مصر بدون تاريخ) .
٢٤. مواهـب الفضل الوجودي (مناقب الشيخ عبد الهادي) ضمن سلسة الصفاء (دار الفكر ـ بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م) .
٢٥. الـنجوم الزاهـرة في ملوك مصر والقاهرة (ابن تغري بردي – دار الكتب المصرية ـ ١٣٩١م) .
٢٦. الـنور السـافر في أعيان القرن العاشر . محي الدين عبد القادر العيدروس (بيروت ـ ١٤٠٥هـ)
٢٧. هديـة الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن . احمد بن فضل ابن العيدلي ـ (دار العودة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٨٠ م) .
٢٨. اليمـن الإنسـان والحضـارة . عبد الله بن عبد الوهاب الشماحي (دار التنوير ـ بيروت الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م *

٢٩. اليمن شماله وجنوبه ، محمود كامل المحامي (دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٦٨م) .

٣٠. اليمن ماضيها وحاضرها . د . أحمد فخري (المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨م).